# مجلة المجمع العلمي

مجلة فصلية أنشأت سنة ١٣٦٩ هـ - ١٩٥٠م
الجزء الثاني المجلد الثاني والخمسون

# كـــانت

## بين دارسي الفلسفة العرب المعاصرين

الدكتور حسن مجيد العبيدي

قسم الدراسات الفلسفية ــ الجامعة المستنصرية

**الملخص :**

هذا البحث يرمي الى تأسيس مصطلح ( كانت العربـــي ) وأن كانت هذه التسمية قد سبقت بتسميات أخرى داخـــل الثقافـــة الفلســفية الوسيطة والحديثة مثل أفلاطون العربي وأرسطو العربي وغير ذلك .

والقصد من ذلك ، الوقوف عندمـــا كتبـــه الدارســون العـــرب المتفلسفون عن فلسفة كانت فهماً وتفسيرا وتأويلا وشرحاً لنصوصه فـــي اللغة العربية ، فضلا عن مقارنة فلسفته بفلاسفة عرب وســيطيين مـــن أمثال الغزالي وابن رشد واضرابهم .

إن نصوص كانت الفلسفية الكبرى ، سواء نقد العقل المحض أم نقد العقل العملي ، أم أســـس ميتافيزيقيـــا الأخـــلاق ، أم التربيـــة ، أم الأنوار ، قد نقلت الى العربية وجرى حولها وفيها حوارات وتـــأويلات فلسفية عربية معاصرة ونتج عن ذلك مكتبة فلسفية عريقة تسمى بمكتبـــة كانت العربية .

لهذا نجد إن القول الفلسفي العربي المعاصر ، قد تعـــامل مـــع كانت ضمن الأطار التاريخي لهذه الشخصية وموقعـــها فـــي التـــاريخ الفلسفي العام والحديث بخاصة ، فكتب عن كانت عربياً بأطار فلســـفي مدرسي منهجي محكم ، ووقف الدارسون العـــرب المعـــاصرون أزاء فلسفته شرحاً لنصوصه ومقولاته ضمن الأطـــار الثقـــافي الأكـــاديمي حصراً ، دون البعد الثقافي الذي أحدثه ( كانت ) في الثقافـــة الغربيـــة الحديثة والمعاصرة وما نجم عنه من ظهور مدارس فلســـفية ومذاهـــب

وتيارات وايديولوجيات ما زالت تنل من فلسفته الى اليوم وتحوم حولها.

ولهذا ، نجد إن الدارسين العرب المعاصرين ، درسوا فلسفة ( كانت ) ضمن عدة مسارات وانتجوا قولاً فلسفياً بذلك ، وإن هذا النتاج يتزامن مع ظهور الجامعات العربية في النصف الأول من القرن العشرين ومع ظهور اقسام متخصصة لتدريس الفلسفة في هذه الجامعات .

ولهذا نجد إن القول الفلسفي العربي المعاصر بأزاء ( كانت ) قد أنقسم على عدة محاور منها :

١ ــ محور تاريخ الفلسفة : وهو ما ظهر في نتاجات مؤرخي الفلسفة من المؤلفين العرب المعاصرين ، إذ كتبوا عن فلسفة كانت ضمن أطار تاريخ الفلسفة الحديثة ومثال ذلك يوسف كرم ، وزكي نجيب محمود ، ومحمد علي أبو ريان ، وكريم متي وآخرون وسيرد تفصيلات ذلك في متن البحث .

٢ ــ محور النص الفلسفي : وهو ما ظهر من شرح وتفسير لفلسفة ( كانت ) من داخل النص الكانتي ، وأبرزهم محمود زيدان ، وزكريا إبراهيم ، وعبد الرحمن بدوي ، ونازلي اسماعيل وآخرون سيرد ذكرهم في متن البحث ، وما يميز هذا الدراسات العمق في البحث والتحليل للنص الكانتي عربياً رغم صعوبة هذا النص في مضانه الأصلية .

٣ ــ محور الأبحاث : وهو ما ظهر من دراسة لفلسفة ( كانت ) ضمن الأطار العام للمذاهب الفلسفية المثالية ــ أو مقارنته بغيرها من المدارس الفلسفية المعاصرة لها أم التالية عليها ، من ذلك ما كتبه عثمان أمين في رواد المثالية ، ويحيى هويدي في كتابة ( دراسات في الفلسفة الحديثة والمعاصرة ) ، وصادق جلال العظم

في كتابة ( دراسات في الفلسفة العربية الحديثة ) ، وغيرها .

٤ ــ محور التأليف المعجمي والموسوعي : وهو ما ظهر عن ( كانت العربي ) في دوائر المعارف والموسوعات التي كتبت بالعربية سواء بالاعتماد على مصطلاحاته أم الحديث عن فلسفته بشكل عام دون تفصيلات ، وخير من يمثل ذلك يوسف كرم في معجمه الفلسفي وعبد الرحمن بدوي في موسوعته الفلسفية ومراد وهبة وعبد المنعم الحنفي في موسوعاتهم .

إن هذا النتاج الكبير عن فلسفة كانت باللغة العربية ليعطي خير مثال على موقع هذا الفيلسوف في داخل النص العربي ، وإن كنا قد أهملنا كل ما كتب عن كانت بلغات غير عربية لأنا نعتقد إن ذلك لا يشكل معماراً في داخل النص الفلسفي العربي المعاصر وفهمه لكانت .

ولكن يبقى التساؤل قائما ، هل إن ( كانت العربي ) وجد له صدى في داخل الثقافة العربية المعاصرة دون التوجه الأكاديمي المدرسي ؟

إن هذا ما سيجيب عليه متن البحث لاحقاً .

**المقدمـــة :**

إن هذا البحث الموســـوم ( كـــانت بيـــن الدارســـين العـــرب المعاصرين ) أنما يرمي الى تأسيس مصطلح في داخل الثقافة الفلســـفية العربية المعاصرة بعنوان ( كانت العربي Arabic Kant ) ذلـــك إن هذه التسمية لها ما يناظرها في داخل الثقافة الفلسفية العربيـــــة ، مثـــل أفلاطون العربي وأرسطو العربي وافلوطين العربي وغيرهم .

والقصد من ذلك ، دراسة ما كتبه الدارسون العرب المتفلســـفون عن كانت شرحاً وتفسيراً وتأويلاً وحواشياً على نصوصه الفلسفية التـــي نقلت الى العربية ، وجرى حولها وفيها حوارات ونقاشات وفهم وتـــأويل أنتج عنه قولاً فلسفياً عربياً ، سواء أكان هذا القول متضمناً كانت فـــــي نطاق تاريخ الفلسفة الحديثة والمعاصرة ، أم كانت في مؤلف برأسه ، أم يقع ضمن مداخل الفلسفة الموجهة لطالبي هذا اللون مـــــن المعرفـــة أم الإشارة اليه ضمن الموسوعات الفلسفية ودائرة المعاجم الفلسفية .

إن الباحث قد استقصى كل ذلك في دائرة القول الفلسفي العربـــي عن ( كانت ) وإن أهمل ما كتب عنه بلغات غير عربية رغم ترجمـــت هذه المؤلفات إلى العربية ، لأن ذلك لا يقدم تصوراً عربياً لفهم كـــانت في داخل هذه الدائرة الفلسفية .

ولهذا وجد الباحث ، إن البحث في كانت العربي سيتمحور عنده بعدة محاور رئيسة ، منها :

أولا : محور تاريخ الفلسفة .

ثانياً : محور النص الفلسفي المقيد بكانت .

ثالثاً : محور الأبحاث الفلسفية بعامة وكانت بخاصة .

رابعاً : محور الموسوعات الفلسفية والمعاجم الفلسفية العربية .

إن هذا النتاج الكبير عن كانت العربي ليعطي خير مثال علـــى

موقع هذا الفيلسوف في داخل النص الفلسفي العربي المعاصر ، وإن وجد الباحث في تسائله المشروع عن دور كانت التنويري الذي لعبه في الفلسفة الأوربية الحديثة والمعاصرة ، ولم يجده في داخل القول والثقافة الفلسفية العربية المعاصرة ، وقد شكل ذلك لديه استنتاجاً ، إن كانت العربي بقي أسير الدرس الأكاديمي المدرسي الرصين دون نقله إلى داخل الثقافة العربية بعامة رغم تنوع هذه الثقافة وتنوع مصادرها ومشاربها وربما يعود السبب عنده إلى غلق النص الكانتي بلغته الأصلية مما استتبع معه ذلك الى داخل النص الفلسفي العربي المعاصر ، ورغم أن نصوصه الفلسفية قد نقلت الى العربية بأكثر من ترجمة . والذي أشاع ذلك هو اشارات المتفلسفين العرب المعاصرين الذين كتبوا عن كانت وحاولوا أن يقربوه الى لغتنا الجميلة ذات البلاغة العالية ، لغة النص الديني ( القرآن الكريم ) إلا أنهم لم يستطيعوا ذلك ، وبذلك فقدت النهضة العربية المعاصرة مقومات أصول التنوير الأوربي الحديث والمعاصر .

إن هذا الحكم المسبق هو الذي دفع الباحث كي يقدم بحثه هنا ، بعيداً عن أي قراءة لنص كانت وشرحه والوقوف عنده فقط كما يحلو للبعض أن يمارسوه داخل الدرس الأكاديمي ولا يتعدى ذلك قاعات الدرس والبحث الفصلي في الجامعات .

**المحور الأول ــ كانت في تاريخ الفلسفة بالعربية :**

إن التأليف في الفلسفة باللغة العربية ، لهو مما يدعو إلى الفخر والأعتزاز والأحترام العلمي ، إذ اجاد مؤرخو الفلسفة من العرب المعاصرين ، أن يقدموا لنا تأريخاً فلسفياً محكماً يبدأ من اليونان وينتهي بالمعاصرين مروراً بالعصر الوسيط فالحديث مع أشارات تفصيلية عن حياة كل فيلسوف وفكره ، مؤكدين القول أن تاريخ الفلسفة هو الفلسفة

بذاتها ، إذ لا يستطيع أي متفلسف في أي عصر أن ينشأ نظاماً فلسفياً دون الرجوع الى تاريخ الفلسفة قبله وفي عصره[١]، فهو يتواصل معه من جهة ويقيم قطيعة ابستمولوجية معه من جهة أخرى .

ولهذا وجدنا المتفلسفون العرب المعاصرون من الذين كتبوا في تاريخ الفلسفة على طول الزمان الفلسفي ، قد أشار إلى فلسفة كانت بالتفصيل وأوردوا نصوصه الفلسفية من مؤلفاته الرئيسة ، نقد العقل المجرد ، ونقد العقل العملي ، ونقد ملكه الحكم وغيرها ، رغم أن هذه الأشارات قد أعتمدت على نصوص كانت باللغات الأوربية ولا سيما الأنجليزية منها أم الفرنسية أم الألمانية ، إذا ما علمنا أن نصوص كانت لم تنقل إلى العربية إلا في مطلع الستينيات من القرن العشرين المنصرم بترجمة أحمد الشيباني لكتابيه الشهيرين ( نقد العقل المجرد ونقد العقل العملي )[٢] ، فضلا عن ترجمة مؤلفاته الأخرى ، مثل ( تأسيس ميتافيزيقيا الأخلاق )[٣] ، و ( مقدمة ميتافيزيقيا مقبلة يمكن أن تصير علماً )[٤] ، و ( نحو السلام الدائم )[٥] .

---

[١] راجع بحثنا الموسوم ، تاريخ الفيلسوف وتاريخ الفلسفة ، مجلة الموقف الثقافي ، بغداد ، السنة الرابعة ، ١٩٩٩ ، العدد ٢٠ ، ص ٧٣ وما بعدها .

[٢] ظهرت هاتين الترجمتين في بيروت ١٩٦٦ ، وظهرت ترجمة علمية ممتازة لكتابة ( نقد العقل المحض ) مع مقدمة طويلة ، بقلم موسى وهبة ، بيروت ( د . ت ) .

[٣] ظهرت هذه الترجمة بقلم عبد الغفار مكاوي ، القاهرة ١٩٦٥ ، وهناك ترجمة أخرى بقلم محمد فتحي الشنيطي ، القاهرة ، القاهرة ١٩٦٥ .

[٤] ظهرت هذه الترجمة بقلم نازلي اسماعيل ، القاهرة ، ١٩٦٧ .

[٥] ظهرت له أكثر من ترجمة ، منها ترجمة عثمان أمين ، القاهرة ، وترجمة نبيل الخوري ، بيروت ، ١٩٨٥ .

و ( التربية )[٦] ، و( ماهي الأنوار )[٧] ، إذ أن ترجمة الشيباني لم تكن بالمستوى المطلوب لقبول النص الكانتي على عمقه وقوته وغموضه في دائرة النص الفلسفي العربي[٨] .

وإذا ما عدنا الى التأليف الفلسفي العربي المعاصر عن كانت ، نجد أن الأشارات الأولى لفلسفة كانت متضمنة في كتاب زكي نجيب محمود وأحمد أمين ، الموسوم ( قصة الفلسفة الحديثة )[٩] . وهو بحسب اعتقادنا أقدم نص فلسفي عربي معاصر كتب عن كانت . إذ ينصح المؤلفان ، الدارس لفلسفة كانت ، أن يأخذ الحذر في دراسة هذا الفيلسوف من كتبه مباشرة ، وإذا ما فعل الباحث ذلك فإنه لا يظفر بشيء وإذا ما أراد أي باحث أن يقرأ كانت فإن آخر ما يجب أن يقرأه هو كانت نفسه ، لأنه لم يعمد فيما كتب إلى السهولة والوضوح ، بل راح يتحدث في غموض والتواء دون أن يسوق الأمثلة التي توضح ما يقول ، زاعما أنها تطيل كتابه بغير جدوى ، إذ هو يقصد في كتبه إلى الفلاسفة المحترفين ، وليس هؤلاء بحاجة الى الشرح والإيضاح ، ومع ذلك فقد كان بين هؤلاء من ضاق بها صدراً[١٠] .

---

[٦] هذه الترجمة ظهرت عن المجمع العلمي العراقي ، بقلم د . عبد الرحمن القيسي، بغداد ، ١٩٩٨ .

[٧] ظهر هذا النص في كتاب ، ما هي الأنوار . ( كانت ــ فوكو ) ، بقلم يوسف الصديق ، بيروت ، ( د . ت ) .

[٨] راجع المقدمة الممتازة لكتاب نقد العقل المحض ، للدكتور موسى وهبة والدواعي لأعادة الترجمة مرة أخرى إلى العربية .

[٩] ظهرت الطبعة الأولى لهذا الكتاب ، القاهرة ١٩٣٦ ، وتضمن الأشارة الى فلسفة كانت في الجزء الأول .

[١٠] قصة الفلسفة الحديثة ، ج ١ ، ص ٢٤٩ ــ ٢٥٠ .

أن هذه الاشارة من قبل زكي نجيب محمود وزميله أنما تعرقل النص الكانتي وتزيده غموضا والتباساً أكثر مما تفتح مغاليقه وتقربه الى الدارسين المختصين فما بالك بالذين يحبون الفلسفة عن قرب . على الرغم من أن لغة العرض لفلسفة كانت في كتابهما السالف الذكر من الوضوح والأشراق ما يقرب كل عويص ومغلق في فلسفة كانت ، إلا أنه بقي هذا النص الفلسفي الكانتي يحوم ويجول في داخل هذه الدائرة الفلسفية الأكاديمية المدرسية دون الانفتاح والحوار مع الثقافة العربية في عصر النهضة وهي ما أحوجها الى ذلك ، وهي تطلع على احد أعمدة فلسفة الأنوار الغربية[11]

يضع المؤلفان في دراستهما لفلسفة كانت ، تصوراً مفاده أن تاريخ الفكر لم يشهد فلسفة بلغت من السيادة والسيطرة على الأفكار في عصر من العصور ما بلاغته فلسفة كانت ، من النفوذ في القرن التاسع عشر وما بعده .

بعدها يدرس المؤلفان علاقة كانت بالفيلسوف الفرنسي فولتير والفيلسوف جوك لوك وجان جاك روسو ، الذين أسهموا بشكل فاعل في عصر التنوير وفي أحداث ثورة فكرية ظهرت نتائجها في كل أوربا ، فضلا عن الأشارة الى علاقة كانت بالفيلسوف ديفيد هيوم الذي عدّه كانت أشد الفلاسفة تأثيرا في نفسه رغم عداوته له .

بعدها يتحول البحث عن كانت الى بنية فلسفته وهي كتابة ( نقد العقل الخالص ) فيقدمان دراسة مفصلة وبأسلوب مشوق عن هذا

---

[11] يعرف كانت الأنوار ، بقوله : هو خروج الإنسان من حالة القصور التي يبقى هو المسؤول عن وجوده فيها ، والقصور هو حالة العجز عن استخدام الفكر عند الإنسان بمعزل عن الا خرين . ص ٢٩ من ماهي الأنوار .

الكتاب وأبوابه ومحاوره الرئيسة يمكن لأي طالب مبتدئ في الفلسفة أن يفهمها نظرياً دون أن يطبقها عملياً .

اذ يسمي المؤلفان الأستطيقا الترنسدنتالية أليه بالحس السامي ، ومعنى السامي هو ما يبحث في تركيب العقل وبنائه ودراسة قوانين الفكر الفطرية الموروثة[١٢] . ثم يتحول بعد ذلك الى التحليل السامي الذي هو جزء من المنطق السامي والبحث السامي فيما وراء الحس والذي هو الميتافيزيقيا السامية ( = الجدل ) بعدها يتوجه الباحثان لدراسة العقل العملي ( = الأخلاق ) دراسة معمقة فضلا عن دراسة الدين والعقل والسياسة والسلام الدائم .

إن هذه الدراسة لفلسفة كانت تتم عن بعد نظري خالص ، لم يحاول فيه الدارسون لفلسفته ان يكيفوها ( Condtion ) الى الواقع العملي المعاش في داخل دائرة القول الفلسفي العربي أو يقربوها منه ، رغم ان زكي نجيب محمود ، يعد في هذه الفترة ليس من دعاة الوضعية المنطقية في الفكر العربي المعاصر ، إذ لم يحصل بعد على درجة الدكتوراه في الفلسفة من جامعة لندن . ولو فعل زكي نجيب محمود ذلك لكانت شأنٌ في الثقافة والقول الفلسفي العربي المعاصر .

بعدها يتوجه الباحثان الى نقد فلسفة كانت في موضوعاته الزمان والمكان والعلية والدين ، بالاعتماد على نقد نقاد غربيين لفلسفته[١٣] .

إن هذه الدراسة عن كانت في تاريخ الفلسفة العربية المعاصرة ، قد فتحت الأبواب على مصارعها لمؤرخين مرموقين آخرين ، مثل يوسف كرم ، الذي كتب ثلاثيته الشهيرة عن تاريخ الفلسفة ( اليونانية ، والوسطية والحديثة ) .

---

[١٢] قصة الفلسفة الحديثة ، ص ٢٧٥ .

[١٣] المرجع نفسه ، ص ٣١٨ وما بعدها .

إذ تتناول بالدرس والفحص المعمق في الكتاب الثالث والخاص بالفلسفة الحديثة[١٤] فلسفة كانت ، وغلبت على دراسته اللغة الفلسفية الاصطلاحية العويصة ، وغابت عنها البلاغة والبيان الفلسفيان اللذان شهدناهما في كتابيه الأوليين . على الرغم من أن الطابع المدرسي الرصين هو الذي يحكم مؤلفات يوسف كرم بشكل عام .

احتلت فلسفة كانت النظرية والعملية وعلاقته الميتافيزيقيا بالدين صفحات عدة من هذا الكتاب ، وختم الأشارة الى كانت وفلسفته بتعقيب يفهم منه سيادة المنطق والفلسفة الارسطاليسية ــ التومائية التي طالما دافع عنها يوسف كرم في مؤلفاته الأخرى ، مثل العقود والوجود ، والطبيعة وما بعد الطبيعة . وإن تخلل حديثه عن كانت بالأشارات النقدية لفلسفته ، إذ يقول : (( كانت يشطر الفلسفة الحديثة نفسها إلى شطرين ، أجل لقد أخذ الشيء الكثير عمن سبقوه ، من ديكارت إلى هيوم وروسو ، وجرى في تيارهم ، ولكن تفكيره أدى به الى وجهة جديدة سيطرت على القرن التاسع عشر ، ولم تبدأ العقول في التحرر منها الى منذ عهد قريب ))[١٥] .

كما ينقد يوسف كرم بروح ارسطية تومائية موقف كانت من الزمان والمكان ، بالرجوع الى النصوص الأرسطية في الطبيعة ، ويمكن تلخيص نقد يوسف كرم لكانت بالآتي :

١ ــ إذ قلنا أن المحسوس متحيز في مكان أدراك المكان مقارناً لأدراك المحسوس ، ولم تعد هناك ضرورة لأن يكون المكان مفارقاً للكيفية سابقاً عليها .

---

[١٤] اعتمادنا في الأشارة الى فلسفة كانت هنا ، على طبعة دار المعارف ، بمصر ، وهي الطبعة الرابعة ، ١٩٦٦ .

[١٥] تاريخ الفلسفة الحديثة ، ص ٢٠٨ .

٢ ــ إن تصور المكان والزمان لازم للمخيلة لأن وظيفتها تصور المحسوس الذي هو في المكان والزمان ، ولا يعني أن صورتي المكان والزمان غير مجردتين من التجربة . إن كانت يفهم التجريد على طريقة الحسيين ، ولكن هناك تجريداً من نوع آخر دل عليه أرسطو ، هو استخلاص الخصائص الجوهرية بحدس عقلي وليس هذا التجريد اختصاراً للجزئيات المدركة فحسب ، وانما هو أدراك للماهية .

٣ ــ أن اللامتناهي في المكان والزمان لا يوجد إلا بالقوة ، ولا يعني أن العقل يتعقل مكاناً وزماناً متناهين بالفعل .

٤ ــ إن كانت لم يفطن الى إن باستطاعة العقل ان يحيل المحسوس معقولاً بالتجريد ، ومن ثمة كلياً ضرورياً ، وأن التجريد الذي تعنيه أكثر تحققاً لموضوعية العلم . أن نظرية كانت هذه هي وليدة عقل تقبل المذهب الحسي[١٦] .

بعدها يشير يوسف كرم الى موقف كانت من متناقضات أو نقائض العقل ناقلاً المرجعيات الفلسفية التي تشير الى كانت وتهمل ما سبقه من الفلاسفة فيقول : (( تلك المتناقضات المشهورة عن كانت ، ولسنا نعلل شهرته بها إلا بأن الناس يذكرون الحديث قبل القديم ، فقد وردت كلها عن زينون الأيلي ، وعند أفلاطون في محاوره بارمنيدس على الخصوص ، وعند أرسطو في ردوده على حجج زينون في محاولة التدليل على قدم العالم ، وعند فيلسوف إنجليزي اسمه آرثر كولير Arthar collier نشر سنة ١٧١٣ كتاباً بعنوان المفتاح الكلي

---

[١٦] المرجع السابق ، ص ٢٢٣ ــ ٢٢٤ .

يصدر فيه عن مالبرانش ويدعى التدليل على تناقض فكرة العالم الخارجي[١٧] .

ونحن نشير بدورنا الى أن متناقضات كانت قد أشير لها وبحث فيها تفصيلاً في دائرة الفلسفة العربية الإسلامية ممثلة عند الغزالي في كتابه تهافت الفلاسفة وعند ابن رشد في كتابة تهافت التهافت ، ولكن يوسف أكرم أغفل ذلك إما لعدم اطلاعه عليها أو لأنه أن يشير الى أصول غيرها[١٨] .

بعدها يختم يوسف كرم ، نقده لكانت في قضايا العقل العملي ولا سيما فكرة الواجب الأخلاقي ، مشيرا الى أن كانت أخفق في أقامة أخلاق على أسس وطيدة فمثلاً أنه لا يمكن أن يكون الواجب صورة بحتة ، وأن الواجب كما يضعه كانت هو أمر مطلق بالأضافة الى العقل لكن لا بالإضافة الى الارادة وأن وجود الواجب يدل على وجود الحرية ، وأن الاستدلال بفكرة الواجب على ضرورة الخلود وضرورة الله استدلال سليم ، بشرط أن تعترف للعقل بقوة الأدراك الموضوعي ، ولمبدأ العلية بقيمة موضوعية ، وهذا الشرط غير متوفر في مذهب كانت .. لقد باعد كانت بين الخير المطلق والخير الحسي أو السعادة ، في عرفه حتى ظننا كل الظن أنهما لن يلتقيا[١٩] .ولكن تبقى دراسة يوسف كرم لكانت ، فيها من الغموض والألتباس ما هو ظاهر للعيان

---

[١٧] المرجع نفس ، ص ٢٤٢ .

[١٨] راجع ، الغزالي ، تهافت الفلاسفة ، تحقيق سليمان دنيا ، كذلك ابن رشد ، تهافت التهافت ، نشره سليمان دنيا ، حيث التفصيلات وقارن ، يس عريبي تكافؤ أدلة أزلية العالم وحدوثه بين كانت والغزالي ، مجلة الحكمة ، جامع الفاتح ، العدد ٢ ، السنة ٢ . ١٩٧٧ .

[١٩] تاريخ الفلسفة الحديثة ، ص ٢٥٩ ــ ٢٦٠ .

وأن غلبت عليها كما قلنا اللغة الفلسفية الاصطلاحية ، وكأن يوسف كرم يتقصد ذلك . فكيف سيتحاور العقل الفلسفي العربي المعاصر مع هكذا فيلسوف تنويري ويجعل نصوصه سهلة ميسورة وتفتح له آفاقا أوسع في البحث المعرفي والمنهجي ذي الطبيعة المحاورة باختلاف الرؤى والتصورات لا بخلافها .

لكن تبقى دراسة يوسف كرم هي السائدة في الوسط الأكاديمي لمن يريد أن يفهم كانت تفصيلا ، حتى لنجد أنفسنا بأزاء كتابة هذا لا بازاء نصوص الفلاسفة عندما كنا طلبة للفلسفة في الجامعة في منتصف السبعينات . مما ولد معنا بدءاً نفوراً واضحاً من التقريب لفلسفة كانت ودراسة نصوصه ، إلا أن تحدينا ذلك فيما بعد ، متجنبين مدخل يوسف كرم لفهم كانت أم غيره من الفلاسفة المحدثين[٢٠] .

بينما نجد أن محمد علي أبو ريان ، الذي قدم هو الآخر دراساته عن تاريخ الفلسفة فخصص لتأريخ الفكر الفلسفي الحديث ، جزءاً مهماً ، درس فيه هذا الفكر وتطوره وشخصياته ، وأن دمج مع هذا الجزء الفلاسفة المعاصرين ، ولا سيما الفيلسوف الفرنسي هنري برغسون ، إلا أن ما يميز دراسة أبي ريان ، أنها دراسة لشخصيات فلسفية ، لا تاريخ فلسفة بالمعنى المتعارف عليه عند زكي نجيب محمود أم يوسف كرم .

---

[٢٠] ظهرت دراسات فيما بعد ، قدمت كانت بصورة أكثر وضوحا وبيانا ، وسنشير اليها في هذه الدراسة ، لكن الذي اكتشفناه فيما بعد ، أن كتاب يوسف كرم في تاريخ الفلسفة باجزائه الثلاثة أنما هو تلخيص ممتاز وشديد التركيز لكتاب أميل برهيبة ، الموسوم ( تاريخ الفلسفة ) ، والذي ظهر بترجمة عربية في ثمانية أجزاء ، بقلم جورج طرابيشي ، عن دار الطليعة ، بيروت .

والذي نود الوقوف عنده ، هو ما خصصه هذا الباحث لدراسة فلسفة كانت ، وهو ما يتضمن الباب الثالث من كتابة ، ممهدا القول عن فلسفة كانت ، أنها الفلسفة المثالية النقدية ، مؤكداً أن المرحلة المثالية في تاريخ الفلسفة الحديثة أنما تبدأ بأصدار كانت لكتابه ( نقد العقل الخالص ) سنة ١٧٨١. وقد قيل أن كانت أحدث بهذا الكتاب ثورة في ميدان الفلسفة لا تقل أهمية عن الثورة الكوبرنيقية في ميدان علم الفلك . وما فعله كانت هو ثورة في ميدان المعرفة ، إذ تخطى النظر العقلي والفلسفة المادية ، لكي يقيم الأيمان بالله عن طريق العمل ، ولم يكن في ذلك مثالياً بمعنى الكلمة ، بل كان تصورياً بمعنى أنه يقيم الحدوس ويضع الشروط للمعرفة الإنسانية ويجعل من الذهن الإنساني مشيراً الى الموضوعات الخارجية بتأثير أو فاعلية هذه الشروط والصيغ الأولية[٢١] .

ولكن ما يميز هذه الدراسة عن كانت أنها كانت استعراضية تحليلية فقط ولم تكن نقدية ، تقف عند بعض مواطن فلسفته وتحللها وتنقدها مثلما فعل من قبل زكي نجيب محمود ويوسف كرم .

فدرس ذات الموضوعات التي درست من قبل ، مثل نقد العقل المجرد ونقد العقل العملي ووقف عند ذات التقسيمات التي ذكرها يوسف كرم من قبل ، لكن أبو ريان وضح الغامض من فلسفة كانت بأسلوب عربي مبين سهل وميسور لطالب الفلسفة المبتدئ ، وكان كتابة هذه موجه الى طلبة الجامعات العربية ولأقسام الفلسفة فيها ، وأن خلا من الاشارات المقارنة بين كانت والفلاسفة الذين سبقوه في بعض المسائل

---

[٢١] ظهرت الطبعة الاولى لهذا الكتاب ، القاهرة ١٩٦٩ ، راجع الصفحات ١٦٧ ــ ١٦٩ .

الفلسفية المشتركة في تاريخ الفلسفة ، وبالأخص في مجال الميتافيزيقيا ولا سيما نقائض العقل .

وفضلا عن ذلك ، نجد دراسة جيدة عن فلسفة كانت مختصرة ، إلا أنه تخللها مواقف نقدية ، إلا هي دراسة رفقي زاهر ، عن أعلام الفلسفة الحديثة[٢٢] .

إذ يستعرض بشكل مختصر فلسفة كانت الميتافيزيقية والأخلاقية ، وإن كان مرجعه في ذلك اصطلاحاً كتاب قصة الفلسفة الحديثة لزكي نجيب محمود ، ولكن ما يهمنا هو نقده وتعقيبه على فلسفة كانت ، التي يضعها في نقاط رئيسة هي :

١ ــ إن فكرة كانت عن الزمان والمكان ، وإن خالفها بعض الفلاسفة المعاصرين ، إلا ان العلم الحديث أكدها ، معتبراً أن الزمان والمكان مجرد بعدين وهميين لا تحقق لهما في الخارج . وهو ما تقرره النظرية النسبية بوضوح تام .

٢ ــ إن حقائق الأشياء عند كانت مطلقة ، بخلاف ما ذهب اليه هيوم من أنها احتمالية ، فجاء العلم الحديث ليوافق هيوم ويخالف كانت في ذلك .

٣ ــ أن أفكار كانت الأخلاقية ولا سيما فكرتي الواجب وحرية الأرادة لها أصول في في الفلسفة العربية ، ولا سيما عند ابن باجة في كتابة تدبير المتوحد الذي ترجم الى الألمانية قبل ظهور كانت بوقت غير قصير ، فضلاً عن أن المعتزلة ، قد أشاروا في فلسفتهم الى الحرية الأنسانية وعدوها أحد الأصول الخمسة في فلسفتهم .

---

[٢٢] ظهرت الطبعة الاولى للكتاب ، القاهرة ١٩٧٩ .

٤ ــ كان من الأولى على كانت أن يقف مع أحد الحلول ويتخذ موقفاً في مسألة تناقض العقل أو نقائضه[٢٣] .

ونختم هذا المحور بالأشارة الى كتاب الفلسفة الحديثة ، عرض نقدي ، لمؤلفه كريم متي من العراق ، إذ خصص للفيلسوف كانت عدة صفحات ، وهي تشكل الفصل الأخير من الكتاب ، إذ يستعرض الباحث بدقة كتابه نقد العقل المجرد فقط دون غيره .

ويفصل القول في مفاهيم الزمان والمكان والسببية كما ذكرها كانت ، ويعرج بتفصيل على نقائض العقل ، ليختم بذلك قوله عن كانت في العقل الخالص أنه عاجز عن أن يقدم الينا معرفة بصورة مستقلة عن التجزئة ، بل لابد ان تكون معرفتنا قاصرة على ما يمكن ان يقع تحت التجربة على ان العقل بطبيعته ينزع الى تجاوز معطيات التجربة الى الأشياء بالذات فيرتكب وهماً ترانسندالياً ، وعلى هذا الوهم تنشأ أفكار زائفة هي أفكار العقل الخالص كفكرة الضرورة واللامتناهي والروح[٢٤] ... ولئن كانت الميتافيزيقيا كعلم شيء مستحيل ، فأنها ليست عديمة الفائدة ، لأن الأفكار التي تقوم عليها تلعب دوراً تنظيمياً في توجيه البحث العلمي على نحو ما تقدم[٢٥] .

نخلص مما تقدم في هذا المحور ، الى أن الدارسين المتفلسفين العرب الذين كتبوا في تاريخ الفلسفة ، والذين قدمنا نماذج لهم ، أنما كان همهم هو دراسة كانت دراسة تفصيلية معمقة ذات طابع أكاديمي مدرسي محكم ، يخلو من لغة الحوار والتبادل المعرفي مع الثقافة العربية المعاصرة ، أي أنهم لم يقربوا أو يقارنوا كانت في هذه الثقافة

---

[٢٣] المرجع نفسه ، ص ١٢٣٤ ــ ١٢٤ .

[٢٤] ظهرت طبعته عن جامعة كاريونس ، ليبيا ، ١٩٨٨ .

[٢٥] المرجع نفسه .

فسادت لديهم النزعة التقريرية دون المقارنات والحوار الفلسفي مع الآخر .

**المحور الثاني ــ محور النص الفلسفي المقيد بكانت :**

في هذا المحور ، سنتوجه بالبحث والدرس ، الى دراسات فلسفية عربية أحتفت بكانت دون غيره ، وألفت فيه كتباً برأسها ، وكانت الغاية من ذلك الوقوف ملياً أمام فلسفة كانت النظرية والعملية والجمالية والتربوية ، لتوضيح ذلك الى جمهور المختصين في الدرس الفلسفي عن المثقفين الذين يبحثون في علاقة الفلسفة بغيرها من العلوم .

وخير من يمثل ذلك ، جملة من الدارسين العرب المتميزين من الدرس الفلسفي المنهجي الأكاديمي الرصين ، منهم الدكتور زكريا ابراهيم في كتابة كانت أو الفلسفة النقدية[٢٦] ، والدكتور محمود زيدان في كتابة كانت وفلسفته النظرية[٢٧] ، اذ خصص محمود زيدان كتابه عن كانت لدراسة نقد العقل المجرد دون غيره ، والدكتور عبد الرحمن بدوي في رباعيته عن كانت والتي تعد أوسع دراسة كتبت باللغة العربية عن هذا الفيلسوف ، إذ خصص بدوي الأول لدراسة العقل النظري بالتفصيل ، ووسمه أمانويل كانت[٢٨] ، أما الجزء الثاني فقد خصص للأخلاق عند كانت[٢٩] ، أما الجزء الثالث فقد خصص للقانون والسياسة

---

[٢٦] ظهر هذا الكتاب ، ضمن عبقريات فلسفية ، الطبعة الأولى ، القاهرة ١٩٦٣ ، والطبعة الثانية القاهرة ١٩٧٢ ، وقد اعتمدنا على الطبعة الثانية .

[٢٧] ظهرت طبعة هذا الكتاب في القاهرة ، وقد اعتمدنا على الطبعة الثانية ، الصادرة عن دار المعارف بمصر ١٩٧٦ .

[٢٨] ظهرت الطبعة الا ولى ، الكويت ١٩٧٧ .

[٢٩] ظهرت الطبعة الاولى ، الكويت ١٩٧٩ .

عند كانت [٣٠] ، في حين خصص الجزء الرابع وهو الأخير عن فلسفة الدين والتربية عند كانت[٣١] .

فضلا عن ذلك ، فقد ظهرت أيضا دراسات أخرى عن فلسفة كانت ، منها دراسة الدكتور نازلي اسماعيل عن النقد في عصر التنوير ( كانت ) ، ودراسة يحيى هويدي عن كانت وأخيرا وليس آخراً دراسة محمود سيد أحمد عن مفهوم الغالية عند كانت[٣٢] .

إن هذه الدراسات التفصيلية عن فلسفة كانت ، أنما يجمعها هدف واحد وهاجس واحد ، هو التأليف بفلسفة كانت ، وبيان قيمتها المعرفية والفلسفية في تاريخ الفلسفة عموماً والفلسفة الحديثة والمعاصرة على وجه الخصوص . مع الدعوة الى تكييف المصطلحات الفلسفية الكانتية للغة العربية وجعلها في متناول الدارسين ، ومحاولة أدخالها ضمن المنهج الفلسفي العام لتاريخ الفلسفة العربية المعاصرة ، للأفادة منها في الدراسات والأبحاث والمناهج في الدرس الأكاديمي الفلسفي العربي المعاصر .

وإذا ما أردنا أن نسجل ملاحظة ذات أهمية تذكر فأنا نشير الى أن أصحاب هذه الدراسات ولا سيما زكريا إبراهيم وعبد الرحمن بدوي ، إنما يمثلون اتجاهات فلسفية غربية ويتبنونها في أبحاثهم ودراساتهم إلا وهي الفلسفة الوجودية ، مما جعل تأليفهم في فلسفة كانت أقرب لسد الحاجة الأكاديمية في المكتبة الفلسفية المعاصرة ، وليس لتبني هذه الفلسفة واشاعتها بين عموم الدارسين للفلسفة في الوطن العربي ، وكأن العمل التأليفي الضخم الذي عملاه لا يخرج عن هذا

---

[٣٠] ظهرت الطبعة الاولى ، الكويت ١٩٨٠ .

[٣١] ظهرت الطبعة الاولى ، بيروت ١٩٨٠ .

[٣٢] ظهرت هذه الدراسة في القاهرة ١٩٨٨ .

الأطار المرسوم له . إذ لا نجد أية مقاربات فلسفية أو مقارنات في مقاربات فلسفية او مقاربات فلسفية أو مقارنات في منطويات هذه المؤلفات لهذا الباحثين القديرين ، مع الفلاسفة العرب أو غيرهم من الفلاسفة اليونانيين إلا بقدر تعلق الأمر بوضع كانت ضمن الفلسفة الحديثة وأبرز فلاسفتها ( لوك ، ديكارات ، هيوم ، روسو ... ) مما جعل الباحث يترصد هذه المسألة ليقف عندها ويسجل ملاحظته الرئيسية هذه . ولم يشذ عن هذا الذي قلناه ما كتبه محمود زيدان ونازلي إسماعيل ويحيى هويدي ومحمود سيد أحمد .

وإذا ما عدنا إلى بدء قولنا عن هذه الدراسات ، نجد أن زكريا إبراهيم في كتابه كانت أو الفلسفة النقدية ، يهاجم كل من ترجم لكانت إلى العربية ، ويتهم هذه الترجمات أنها غير أمينة ، بخلاف ما فعل بكانت في اللغات الأوربية الأخرى . مما حداه أن يقدم دراسة معمقة عن فلسفة كانت ، لأن المكتبة العربية مفتقرة الى دراسة جدية تعرف القاريء العربي بهذا الفيلسوف الألماني الكبير الذي قسم تاريخ الفكر الحديث الى شقين ... فضلاً عن ذلك يشير زكريا إبراهيم الى سبب تأليف هذا الكتاب هو أن الفلسفة الكانتية من الصعوبة بمكان ، فضلاً عن العقبات الكثيرة التي يصطدم بها الباحث حين يحاول ترجمة الكثير من مصطلحات كانت الألمانية الدقيقة الى اللغة العربية ... ولكننا لا نميل الى الاعتقاد أن هذه الصعوبة اللغوية لا تبرر الزعم القائل بأنه ليس من السهولة أن يقرأ المرء كانت[٣٣] . ويعتقد زكريا إبراهيم أن هذه الصعوبة منشأها هو ماروا ه المؤرخون عن هذا الفيلسوف ، ولكنه لا يوافقهم ، ويذهب بمشروعه عن كانت ، بقوله : إن شيئاً مما كتبه

---

[٣٣] راجع ، ص ١١ من الكتاب .

الباحثون ومؤرخو الفلسفة لا يمكن ان يغنينا عن العودة لكانت نفسه ، لأن في كتبه نصاعة فكرية قلما تعثر على نظير لها لدى غيره من الفلاسفة في العصر الحديث[٣٤] .

كما يشير زكريا إبراهيم ان العودة الى فلسفة كانت معاصرا هي انه لا يوجد في الفكر المعاصر فلسفة تعلو على الفلسفة الكانتية أو يرفضها . وهو بهذا يرد على ما ذكره زكي نجيب محمود عن فلسفة كانت ونصيحته لكل من يريد ان يقرأ كانت ان لا يقرأه مباشرة . بل يقول زكريا إبراهيم أن العودة الى فلسفة كانت مباشرة ضرورة فلسفية ومنهجية لا يمكن التغاضي عنها .

بعد ذلك ، نجد في كتابة تفصيلات دقيقة عن فلسفة كانت في العقل النظري والعقل العملي والمشكلة الخلقية ونقد الحكم وفلسفته الجمالية ، مع خاتمة بنقد الفلسفة الكانتية[٣٥] ، هذه الخاتمة التي تشير الى نقاد كانت من الغربيين ويقسمهم بين ناقد قادح وناقد مادح ، منهم نيتشه وشلنج وهيجل ، وهؤلاء بنظر شوبنهور أبناء غير شرعيين لكانت ، أما هو فهو الشرعي ، ويقف أمام أعجاب شوبنهار بتفصيل أكثر .

وبنظر الباحث ، أن دراسة زكريا إبراهيم ، دراسة جادة معمقة لفلسفة كانت مكتوبة بأسلوب أدبي رفيع ، مع عبارة سلسة واضحة ، تعبر عن فلسفة كما أرادها هو ، وهذه مقدرة مميزة لكاتب فلسفي معروف مثل زكريا إبراهيم ، وأن كتابه فعلا يسد فراغاً في المكتبة الفلسفية العربية عن كانت وفلسفته من كل جوانبه ويجيب على الأسئلة

---

[٣٤] ص ١٣ من الكتاب .

[٣٥] هذا النقد لفلسفة كانت ، كتبه زكريا ابراهيم بعد صدور كتابه بطبعته الاولى ، والحقه بطبعته الثانية ، اذ صدر النقد عام ١٩٧٢ .

المثارة حول هذه الفلسفة ، مع ملاحظة أن الكاتب لم يحاول أن يقارب ويقارن بين فلسفة كانت والفلسفة المعاصرة ولا سيما الوجودية التي يؤمن بها هو .

ومثل ذلك ، فعل محمود زيدان ، إذ درس فلسفة كانت بعمق وتفصيل قل نظيره في الدراسات الفلسفية عن كانت ، إذ خصص كتابه للبحث والتفصيل في كتاب كانت ، عن نقد العقل الخاص ، وقد قرب لغة كانت الاصطلاحية الدقيقة الى المعجمية الفلسفية العربية ، وقد ساعده على ذلك مؤلفاته الممتازة في تاريخ الفلسفة الحديثة والمعاصرة ودراساته في المنطق الرمزي والرياضي التي كان لها حضورها في المكتبة الفلسفية العربية المعاصرة ، إذ يشكل مع كتاب زكريا إبراهيم سالف الذكر ، مفتاحاً لفهم فلسفة كانت في داخل النص الفلسفي العربي ، وإن خلى كتابه من وقفة نقدية عن فلسفة كانت أو مقارنات مع غيرها من الفلسفات سواء السابقة عليها أم المعاصرة أم المتأثرة بها سلبا أم ايجابياً ، أنه كتابه عن كانت كتب لدارس متخصص في فلسفة كانت ليس إلا .

أما موسوعة بدوي عن كانت التي أشرنا اليها فأنها من السعة والدقة والبحث والتحليل لا مزيد عليه ، وهي عامود في المكتبة الفلسفية الكانتية العربية ولا أظن أن أي باحث في الفلسفة الحديثة بعامة وكانت بخاصة ان يغفلها أو يتجاوزها ، إذ جاء بدوي على كل فلسفة كانت ولم يترك منها لا شاردة ولا واردة إلا ذكرها عن هذه الفيلسوف ، ولكن الذي يلاحظ على هذه الموسوعة عدم ذكر المقارنات التاريخية الفلسفية مع كانت سواء من سبقه أو من تأثر به ، إذ خصص صفحات قليلة من الجزء الأخير عن ذلك ، مع علمنا أن عقل وفكر بدوي الموسوعي كان بالامكان أن يضيف هذه المجلدات الأربعة مجلداً خامساً عن نقاد كانت

أو أنصاره الى يومنا هذا ، ولكن بدوي لم يفعل ذلك ، بل حافظ على روح فلسفة كانت وعرضها بأمانة علمية ممتازة على الرغم من أنه الفلاسفة الوجوديين العرب المعاصرين ، إلا أن ذلك لم يظهره في حديثه عن فلسفة كانت .

**المحور الثالث ــ محور الأبحاث الفلسفية بعامة وكانت بخاصة :**

ظهرت في اللغة العربية ، عدة دراسات وأبحاث عن فلسفة كانت ، ضمنت في مؤلفات تبحث في تاريخ الفلسفة الحديثة ، من زوايا وإشكاليات فلسفية محددة ، وليس بصيغة بحث تاريخي فلسفي ، إذ درست هذه المؤلفات جوانب من فلسفة كانت دون غيرها ، وركزت اهتمامها على هذا الجانب لتوضيحه وفهمه وتأويله .

وأبرز هذه الدراسات التي وقفنا عندها ، هي كتاب صادق جلال العظم ، الموسوم دراسات في الفلسفة الغربية الحديثة ، التي ضمنها فصلاً عن فلسفة كانت في المكان تحديداً[٣٦] . درس فيه العظم فلسفة كانت في المكان من خلال الأطلاع على مؤلفاته الرئيسة في هذا الميدان مثل نقد العقل المجرد ، ومقالة كانت عن نظرات في التقدير الصحيح للقوى الحية وغيرها . إذ قدم العظم موقفاً تحليلياً نقدياً لفلسفة كانت في المكان ، بالأعتماد على تطور فلسفة كانت في هذا المجال ، ويسجل العظم ملاحظاته على فلسفة كانت في المكان ، بقوله : إن آراء كانت في المكان في هذه الفترة ( = السابقة على نقد العقل المجرد ) تسجل ثلاث نتائج عي ، أن خصائص المكان وعدد أبعاده تعتمد على طبيعة المادة الموجودة فيه وأن وجود الأمكنة اللاأقليدية ممكن ، وأن المكان الوحيد الذي يمكننا تمثله أو حدسه هو المكان الأقليدي .

---

[٣٦] صدرت الطبعة الاولى من هذا الكتاب ، بيروت ١٩٦٦ .

ولكن عندما دخل كانت مرحلته النقدية غدا أكثر تحفظاً ورصانة في تأملاته حول هذا الموضوع ، أن الفارق الأساسي بين نظرية كانت في المكان في مرحلته الأولى عن مرحلته النقدية أنما تكمن في أن المكان في النظرية النقدية يصبح صورة الحدس الخارجي . وبهذا فصل كانت في نظريته النقدية تاماً بين الصورة والمادة وحلل الأولى بمعزل عن الثانية وبذلك قضي على فكرته الجريئة التي اشتقت المكان من خصائص المادة وقوانين تفاعلها[٣٧] . ويبدو ان كانت لم يطمئن كثيراً لنظريته الأولى التي جعلت طبيعة المكان تعتمد على خصائص المادة وقوانينها فتبنى نظرية المكان المغلق التي وضعها نيوتن ثم تركها بعد مدة وجيزة ليضع نظريته النقدية الشهيرة كما هي في نقد العقل المجرد ( = المكان صورة )[٣٨].

إن العظم أنما ينقد كانت من خلال أيدلوجيته التي ينتمي إليها ، إلا وهي الأيدلوجية الماركسية التي يتبناها ويدافع عنها وعن صحة أقوالها في المادة والمكان والزمان . والمطروحة في المؤلفات المادية الجدلية لماركس وأنجلز .

أما الفيلسوف عثمان أمين ، صاحب الفلسفة الجوانية في الفلسفة العربية المعاصرة ، فقد كتب هو الآخر بحثاً مطولاً ومفصلاً عن فلسفة كانت في كتابة رواد المثالية في الفلسفة الغربية[٣٩] ، إذ شكل فصل كانت معظم صفحات الكتاب فضلاً عن ديكارت وفيختة . اذ درس في هذا الكتاب سيرة حياة كانت وكتابة نقد العقل الخالص وفلسفة الحرية وفلسفة التاريخ ، وضمن بحثه عن كانت نصوصاً من مؤلفات كانت في

---

[٣٧] العظم ، دراسات ، ص ٣٨ .

[٣٨] المرجع نفسه ، ص ٤٠ ــ ٤١ .

[٣٩] ظهرت الطبعة الاولى للكتاب في القاهرة ١٩٦٧ .

الأنوار ، وكتاب مشروع السلام الدائم ، وغيرها من مؤلفاته مفتتحاً الكلام عن كانت بالمديح والتقريظ واصفاً أياه أنه أحد أقطاب الفلسفة الأربعة الكبار وهم أفلاطون وارسطو وديكارت وكانت . وأن كانت هو آخر أولئك العباقرة من أفذاذ الإنسانية المفكرة الذين استطاعوا بحياتهم ومؤلفاتهم ان يخلفوا في الحياة العقلية في بلادهم وخارج بلادهم أثراً باقياً عند أهل عصرهم وعند الخلف من بعدهم ... وبالتالي فان فلسفة كانت هي الركيزة للمثالية الألمانية ، وأنها عمدت الطريق لأنتصارات المثالية منذ أواخر القرن التاسع عشر حتى أيامنا هذه[٤٠]

وللمثالية الكانتية طابعان : (( النقدية )) و (( الترنسدتالية )) وطابع النقدية واضح ، والترنستدالية عند كانت واتباعه أنما هي وصف للصور والمعاني والمبادئ إذا كانت متعلقة بالتجربة محددة لها . لا متعالية عليها مفارقة لها خلافاً لما توهم المتوهمون [٤١] .

إن هذا الدفاع عن مثالية كانت وعدم نقدها من قبل عثمان أمين ، إنما مرده الى فلسفة عثمان أمين الجوانية ذات الطابع المثالي الواضح ، فوجد في كانت ضالته المنشودة ، فدافع عنه وأقترب من مقولاته وتفسيراته ليعضد بها فلسفته الجوانية ، بخلاف العظم الذي وجد افتراقاً عن فلسفة كانت المثالية لأصوله المادية التاريخية الماركسية .

أما الفيلسوف والباحث المدقق في المدارس الفلسفية يحيى هويدي ، فهو الآخر قد كتب بحثا عن كانت في كتابة دراسات في الفلسفة الحديثة والمعاصرة[٤٢] . وسمه بصيغة سؤال مفاده ، كيف كان كانت مثالياً ؟ ليجيب عنه بقوله : إن كانت قد قاوم الأتجاه الذي يريد أن

---

[٤٠] رواد المثالية ، ص ٥٨ .

[٤١] المرجع نفسه ، ص ٥٨ .

[٤٢] ظهرت الطبعة الأولى للكتاب في القاهرة ١٩٦٨ .

يؤسس الفلسفة على الدين بأن فصل بين ميدان كل منهما وجعل الدين يبدأ من حيث تنتهي الفلسفة .

وكانت في هذا قد عارض الفيلسوف ليبنتز وأنحاز الى جانب فيلسوف آخر هو بايل Bayle . هذا من ناحية ومن ناحية أخرى لم يسلم بالواقع الحسي الممتد أمامه تسليم الرجل الساذج ، وهو في هذا وثيق الشبه بجميع الفلاسفة ... وبهذا أن كانت منذ البدء قد أتخذ موقفا نقدياً خاصاً به ، سمي بالفلسفة النقدية[٤٣] .

بعدها وجه يحيى هويدي مجموعة ملاحظات نقدية عن فلسفة كانت من أبرزها : أن نقطة البدء في فلسفة كانت هي التجربة حيث أنها قابلة لأن تعرف عن طريق العقل ، ولكن هذا الموقف لا يعبر عن رأي جميع مؤرخي الفلسفة إذ أن هناك من يرى ان كانت نقطة البدء عنده هي الكوجيتو لا التجربة والكوجيتو معناه الأدراك الأولى الخالص .

فضلاً عن ذلك ، نجد أن الفلاسفة الوجوديين المعاصرين قد فهموا كانت فهماً خاصاً ومنهم الفيلسوف هيدجر ، فكانت برأي هيدجر ليس فيلسوف العقل وأنما فيلسوف المخيلة وفلسفته عقلية وأنما فلسفة وجودية تقوم على دراسية المخيلة ، وبهذا يصبح كانت بنظر هيدجر ليس فيلسوف نظرية المعرفة ، بل فيلسوف الوجود[٤٤] . فضلاً عن ذلك ، أن كانت لم يبحث في المكان وأنما يبحث فكرة المكان ، وشتان بين البحثين ، ومثل ذلك فكرة الزمان فالزمان كالمكان عند كانت يتعلق بأدراك عالم الظاهر لا عالم الشيء في ذاته . ليختم يحيى هويدي قوله النقدي عن فلسفة كانت أن المثالية أصبحت على يد كانت لا تدل على المذهب الذي يبتعد عن التجربة الحسية ، بل على المذهب الذي يهجم

---

[٤٣] دراسات في الفلسفة ، ص ٩٤ ــ ٩٥ .

[٤٤] المرجع نفسه ، ص ١٢٠ ــ ١٢١ .

على التجربة ليتسلط عليها ويخضعها له ، وذلك عن طريق بحثه ابستمولوجيا في الشروط الأولية التي تجعل التجربة ممكنة من الناحية العقلية الصرفة فقط[٤٥] .

**المحور الرابع ــ محور الموسوعات الفلسفية العربية المعاصرة :**

هذا المحور يدرس كانت ، كما عُرف به في دوائر المعارف الفلسفية المكتوبة باللغة العربية ، فضلاً عن الأشارة الى المعاجم الفلسفية التي تعرف الفلسفة النقدية الكانتية والمصطلحات الأحرى التي وضعها كانت . ومنها على سبيل المثال ، المعجم الفلسفي الذي ألفه يوسف كرم مع زملائه . إذ يعرف هذا المعجم الفلسفة النقدية ، على أنها تذهب الى الفكر حاصل بذاته على شرائط المعرفة وهي المكان والزمان والمقولات[٤٦] . ويختفي في هذا المعجم الأشارة الى حياة كانت أو تعريف بالمثالية النقدية كما هو معروف عنها على أنها تمثل فلسفة كانت .

ومثل ذلك ، يفعل مراد وهبة في المعجم الفلسفي الذي وضعه[٤٧] ، اذ يعرف الفلسفة النقدية وينسبها إلى كانت ويستعير تعريف يوسف كرم أعلاه[٤٨] دون تغيير . في حين يختفي تعريف الفلسفة النقدية في المعجم الفلسفي لإبراهيم مدكور[٤٩] . أما جميل صليبا في معجمه الفلسفي[٥٠] ، فأنه يطلق تسمية مثالية متعالية على مثالية كانت ،

---

[٤٥] المرجع نفسه ، ص ١٤٨ .

[٤٦] راجع ، مادة نقدي ، ص ٢٤٢ .

[٤٧] ظهرت الطبعة الاولى ، القاهرة ، ١٩٩٨ .

[٤٨] راجع ، مادة نقدي ، ص ٧٠٧ .

[٤٩] صدر في القاهرة ١٩٧٩ .

[٥٠] اعتمدنا الطبعة الثانية ، بيروت ، ١٩٨٦ ، مادة مثالية .

ويعرفها : إن جميع الظواهر دون استثناء تصورات أو تمثيلات عقلية ، وتعد كلاً من الزمان والمكان صورة محسوسة متعلقة بالمدركات الحسية لا صورة بذاتها ، ولا صفة من صفات الشيء بذاته وتسمي هذه المثالية بالمثالية الابستمولوجية .

هذا فيما يتعلق بالتحديد المعجمي الفلسفي المعاصر لمعنى الفلسفة النقدية والمثالية النقدية الكانتية .

أما الموسوعات الفلسفية العربية المعاصرة فهي الأخرى ، قد كتبت عن كانت وفلسفته وحياته ، ومن أبرزها موسوعة الفلسفة ، لعبد الرحمن بدوي ، إذ خصص في الجزء الثاني منها[٥١] ، الأشارة الى كانت مفصلا ، في هذه الموسوعة مفتتحاً القول عنه أنه أعظم فلاسفة العصر الحديث ، ثم تحدث عن حياته وفلسفته ومراحل تطورها ، وهي الفلسفة النقدية النظرية والعملية فضلاً عن الأخلاق والدين والسياسة ، وأظن ان هذه المادة أنما هي تلخيص ممتاز لموسوعته عن كانت التي أشرنا اليها من قبل .

بعد ذلك ، أشار بدوي في هذه الموسوعة الى مصطلح المثالية ، وتحدث عن كانت ومثاليته النقدية ، فعرفها استناداً الى كتابه مقدمة لكل ميتافيزيقيا مستقبله .

فقال : تقوم المثالية بالقول أنه لا توجد إلا الكائنات العاقلة المفكرة ، وسائر الأشياء التي تعتقد أنها تدرك حسيا في التجربة ، ماهي إلا امتثالات في عقول الكائنات العاقلة لا يناظرها في الخارج أي موضوع .

أما جورج طرابيشي ، فهو الآخر يعرف بكانت وفلسفته في معجمه

---

[٥١] ظهرت الطبعة الأولى للموسوعة ، بيروت ، ١٩٨٤ .

الموسوم ( معجم الفلاسفة )[٥٢] ، والذي يختص بالفلاسفة دون المذاهب والمصطلحات الفلسفية ، ويورد آراء الفلاسفة الألمان وغيرهم بخصوص كانت ، بعد أن يذكر حياته ومؤلفاته بالتفصيل .

في حين يتحدث بتفصيلات ممتازة عن كانت وفلسفته عبد المنعم الحفني في الموسوعة الفلسفية[٥٣] ، فيشير الى حياته ومؤلفاته وبعض آرائه مأخوذاً من الفلسفة النقدية له ، فيقول : أن كانت قد جمع في كتابه نقد العقل المحض بين النزعتين العقلية والتجريبية اللتين أثرتا فيه ، وأراد أن يحسم السؤال الذي ألح عليه باستمرار في قدرة العقل على التفكير في قضايا ما بعد الطبيعة .

نلخص مما تقدم ، وبعد هذا السرد والاستقصاء لكل ما كتب عن كانت العربي حصراً ، دون الأشارة الى ما ترجم من مؤلفات تحدثت عن فلسفة كانت بلغات غير عربية . أن كانت العربي يشكل فعلاً مكتبة خاصة به ، تناوله الدارسون العرب بالبحث والتحليل لنصوصه وتأويلات هذه النصوص ، وقد حاول بعض الباحثين ، أن يجد في كانت شكلاً فلسفياً لما يتفلسف به هو سواء في مجال المعرفة أم الميتافيزيقيا أم الأخلاق .

ولكن مع ذلك ، بقي كانت حبيس الدرس الأكاديمي الرصين المصطلح الفلسفي الذي وضعه هو لفلسفته ، ولم نجد من الدارسين العرب لفلسفة كانت من حاول أن يقارب بينها وبين النهضة العربية المعاصرة ، ليستفيد من طروحات كانت لتطوير وتعميق أيديولوجيه النهضوية . أنها سر العلاقة غير الأيجابية بين الجامعة والمجتمع وبين الجامعة والنخب الثقافية . ولكن قبل أن أختم هذا البحث ، أشير الى ان

---

[٥٢] ظهرت الطبعة الأولى ، بيروت ، ١٩٨٧ .

[٥٣] ظهرت الطبعة في القاهرة ( د . ت ) .

الدراسات الفلسفية العربية المعاصرة التي تبحث في موضوع الأصالة والمعاصرة ، وفي منهج التأثر والتأثير ، قد وجدت في دراسة كانت مجالاً لعقد موازنات بينه وبين الفلاسفة العرب المسلمين من أمثال الغزالي وابن رشد ، معتقدين إن هذه الدراسات ستؤصل للفلسفة العربية الإسلامية بأزاء كانت الألماني ، وأن هذا الأخير قد أطلع على أصول ونصوص الفلاسفة العرب المنقولة الى اللغات الأوربية ولا سيما اللاتينية منها والألمانية وأنه قد أفاد من ذلك كله ، ويظهر هذا التأثر جلياً في موضوع الأنوار ، بحسب دراسة الباحث القدير ناصيف نصار ، الذي ذهب الى أن فلسفة الأنوار عند كانت هي غيرها عند الغزالي وأنهما متباينتين تمام التباين ، ولكن لم يمنع ناصيف من عقد المقارنات التفصيلية بينهما[٥٤] .

أما في موضوع نقائض العقل المجرد ، فأن الباحث القدير يس عريبي يذهب الى ان كانت قد أطلع على مؤلفات الغزالي ، وان نقائض العقل عند كانت أنما هي مذكورة بتفصيلاته في كتاب تهافت الفلاسفة للغزالي بما لا مزيد عليه ، حتى أنه يقول : أن المتناقضات الأربع التي يعرض لها كانت في كتابه نقد العقل المجرد تتطابق مع المسائل الأربع الأولى من كتاب تهافت الفلاسفة للغزالي[٥٥] .

ولكي يبقى السؤال المركزي ، لماذا لم يشر كانت في مؤلفاته الفلسفية الى مرجعيات نقائض العقل المجرد في مضانها الفلسفية العربية ، إذا ما علمنا انه قد أطلع على نصوصها باللغة اللاتينية أم بلغته الألمانية . أم هي عبقرية الفيلسوف ؟ .

---

[٥٤] راجع ، كتاب مطارحات للعقل الملتزم ، بيروت ، ١٩٨٦ ، ص ٢١٦ .

[٥٥] راجع ، ص ٩٧ من البحث ، سبق ذكره .